تكون مسكنات عصبية إلى حين : ثم تنقلب هي بنفسها بعد قليل إلى هيجات عصبية ؟ !

وأنا لا أنكر أن في القصة أدبا عاليا ، ولكن هذا الأدب العالي في رأيي لايكون إلا بأخذ الحوادث وتربيتها في الرواية كما يربى الأطفال على أسلوب سواء في العلم والفضيلة . فالقصة من هذه الناحية مدرسة لها قانون مسنون وطريقة محصة ، وغاية معينة ، ولا ينبغي أن يتناولها غير الأفذاذ من فلاسفة الفكر الذين تصبهم مواهبهم لالقاء الكلمة الحاسمة في المشكلة التي تثير الحياة أو تثيرها الحياة ، والأعلام من فلاسفة البيان الذين رزقوا من أدبهم قوة الترجمة عما بين النفس الانسانية والحياة ، وما بين الحياة وموادها النفسية في هؤلاء وهؤلاء ، تتخيل الحياة فتبدع أجمل شعرها ، وتتأمل فتخرج أسمى حكمتها ، وتشرع فتضع أصح قوانينها .

« وأما من عداهم ممن يحترفون كتابة القصص فهم في الأدب رعاع وهمج كان من أثر قصصهم مايتخبط فيه العالم اليوم من فوضى الغرائز — هذه الفوضى المقوتة التي لو حققتها في النفوس لما رأيتها إلا عامية روحانية محطة تتسكع فيها النفس مشردة في طرق رذائلها

إذا قرأت الرواية الزائفة أحسست في نفسك بأشياء بدأت تسفل ، وإذا قرأت الرواية الصحيحة أدركت من نفسك أشياء بدأت تعلو . تنتهي الأولى فيك بأثرها السيء ، وتبدأ الثانية منك بأثرها الطيب . وهذا عندي هو فرق مابين فن القصة ، وفن التلفيق القصصي ! !

* * *

هذا هو رأي الاستاذ الرافعي ننشره على أصله ، لينظر فيه الكثير من شبابنا الناشئين ، الذين أقبلوا على كتابة القصة ، لعل فيه ما ينفعهم ويفيدهم ، ويمهد لهم سبيل الكمال في انتاجهم .

اسعد حنا

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير اجرة البريد في مصر وبخمسين قرشا في البلدان الأخرى

٢ ـ الاسماعيلية

الملقبون بالحشاشين

أين نشأ ابن الصباح :

ورد فيما مضى ذكر لدار الحكمة (١) وهي المدرسة التي أنشأها في مصر الحاكم بأمر الله العبيدي في القرن الثالث الهجري لتعليم مذهبه التوحيدي ، فلما مات أبو طاهر الجنابي عام ٣٣٢ هـ وهو الذي خلف أبا سعيد الجنابي كانت هذه المدرسة قد زهت وأفلحت فلاحا عظيما ، وكان أساس التعليم فيها قلب الخلافة العباسية وزوال دولتها ، وكان الدخول فيها مباحا لكل راغب ، ويلقى العلوم فيها شيوخ تصرف لهم المرتبات والمكافآت العظيمة من أموال الدولة ، وكانت علوم هـــذه المدرسة تسعة كلها دينية منقولة عن مبادىء ابن القداح (القداح هو ولد ديصان واسمه عبد الله ولقب بالقداح لانه كان يعالج العيون بقدحها ، وكان أبوه قد علمه الحيل ، وأطلعه على أسرار نحلته ومخاريقه ، فلما مات خلفه ابنه ، وكان يدعو الى ظهور المهدي في ذلك الزمان في اليمن ، وهو المذهب الذي تفشى في البحرين في القرن الثالث الهجري كما ذكرنا) .

وكانوا في الدور الأول من هذه العلوم يعمون على الطالب ويشوشون عليه تشويشا خفيفا ويلقنونه معنى مكتوما لمتن القرآن ، وفي الدور الثاني يفرضون عليه أيمانا وأقساما يقسم بها ويبالغ في حفظها ، ثم يعلمونه معرفة الائمة المقامين من الله تعالى الذين هم

(١) ذكر الكاتب في اكثر من موضع ان دار الحكمة المصرية أنشئت في القرن الثالث الهجري ، ويقول هنا إنها أفلحت وازدهرت في أوائل القرن الرابع . وهذا خطأ تاريخي بين ، فدار الحكمة الفاطمية لم تقم الا في أواخر القرن الرابع . أنشأها الحاكم بامر الله بصفة رسمية في جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (مارس سنة ١٠٠٥ م) وكانت مجالس الحكمة تعقد قبل ذلك أيام العزيز منذ سنة ٣٨٥ هـ ، ويتولى تنظيمها قاضي القضاة . ولم يكن اساس التعليم فيها « قلب الدولة العباسية » كما يقول الكاتب ، ولكنها انشئت أولا لقراءة علوم الفقه طبق الاصول والتقاليد الشيعية ، ثم تطورت الى نوع من الدعوة الدينية والسياسة الفاطمية ، واتخذت اتجاها فلسفيا حرا ، ورتبت فيها الدعوات الفلسفية السرية الخطيرة (راجع خطط المقريزي ـ مصر ـ ج ٤ ص ٧ ـ ٧٢ ، ص ١٥٨ ، ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ وما بعدها) (الرسالة)

فى مذهبهم أصل كل معرفة ، فاذا بلغ الطالب الدور الثالث علموه عدد هؤلاء الأئمة الذى لا يتجاوز سبعة ، واذا بلغ الدور الرابع علموه انه منذ خلق الله العالم وجد سبعة متشرعون إلاهيون هم الرسل . السبعة المعروفون فى مذهبهم بالنطقاء ، وكيفية اقامتهم لتلك الشرائع . فاذا بلغ المرتبة الخامسة علموه ان لكل واحد من هؤلاء السبعة اثنى عشر رسولا للدعوة الى الايمان الصحيح ، واذا بلغ السادسة علموه السنن الاسلامية ، ولقنوه ان كل الشرائع الدينية المشروعة يجب أن تكون خاضعة للشرائع العمومية والفلسفة ، معولين فى ذلك على فلسفة أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، وهى عندهم رأس كل تعليم ، واذا بلغ المرتبة السابعة انتقل من الفلسفة الى الاسرار ، وفى الثامنة كانوا يثقفون عقله بتعليم أشياء من مراتب الانبياء والرسل ، ويلقنونه وجوب انكار وجود الجنة والنار ، ويبطلون الأعمال ويقولون أن ليس على الاعمال ثواب ولا عقاب لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . ثم يدخل الطالب فى الدور التاسع وفيه ينقاد الانقياد الاعمى لشيخه فلا يخالف له أمراً ولا يعصى له كلمة ولو أدت إلى الموت .

ونظرة الى هذه التعاليم ترينا مقدار مخالفتها للدين الاسلامى ، فان منها ما لو آمن به المسلم لكفر ، وتتبين منها الكراهة لبنى العباس والتشويش على الطالب بتلقينه معنى مكتوماً لمتن القرآن حتى يتيسر لهم التوفيق بين انكار الجنة والنار ، وما ورد فى ذلك الكتاب المقدس عن وجودهما بأصرح عبارة . ثم هذا الى ذكر المشرعين الالاهيين والرسل الذين يدعون الى الدين الصحيح ، وما فى ذلك من التشكيك فى صحة النبوة والدعوة الى الارتياب فيها وقصر الصحة على أولئك الرسل وحدهم .

فى هـــذه المدرسة التى ذكرنا تعاليمها الخبيثة درج زعيم الحشاشين ، وعلى هذه المبادى التى تناقض الدين نشأ ابن الصباح . فلا عجب إذن ان فعل ما سنراه من المنكرات ، ولا عجب أن تكرر هذه الافعال نتيجة سيئة لأنكار الحساب والجزاء والعقاب . واذا كان الشخص الناشىء على هذه التعاليم خطراً على الدين والاخلاق فماذا يكون اذا شابه ابن الصباح فيما كان عليه من دهاء وعلم وحذق ؟ ! لكأن ابن الصباح أصلح نفسية تلائم هذه المدرسة وأخصب عقلية لغرس تعاليمها .

كيف تولى ابن الصباح أمر الاسماعيلية

يقول ابن الاثير (وكان الحسن من تلاميذ ابن عطاش الطبيب الذى ملك قلعة اصبهان ، ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ، ودخل على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالا ، وأمره ان يدعو الناس الى امامته ، فقال له الحسن فمن الامام بعدك ؟ فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ، ودخل كشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضللهم . فلما رأى قلعة (آلموت) واختبر أهل تلك النواحى اقام عندهم وطمع فى غوايتهم ودعاهم فى السر ، وأظهر الزهد والورع ولبس الصوف فتبعه أكثرهم ، والعلوى صاحب القلعة حسن الظن به ، وجلس اليه وتبرك به . فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوى فى القلعة ، فقال له ابن الصباح : اخرج من هذه القلعة ، فضحك العلوى وظنه يمزح ، فامر ابن الصباح أصحابه فأخرجوه الى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة)

هذا الدهاء الذى اتصف به الحسن كان من أكبر العوامل التى ساعدته على تسلم الرياسة الكبرى للاسماعيلية ، والى جانب هذا الدهاء انصراف الخلفاء من بنى العباس فى وقته عن الشؤون العامة وعجزهم عن تحصين إمامتهم ، وضبط خلافتهم لاسترداد الملك للعجم من الديلم والسلاجقة فبانوا وهم لا يقدرون على كف القوائل عنهم ، والاسماعيلية ينتشرون فى أنحاء الشرق القاصية

وبعد استيلاء الحسن على قلعة آلموت فى ولاية جيلان بفارس وهى أقوى القلاع زادها قوة وأحكم تحصينها وجعلها تحت دولة الاسماعيلية ، فعظم أمره بين أتباعه ولقبوه بالشيخ وهو أكبر القابه ، وقد كانت له ألقاب أخرى منها الرئيس والسيد

وبعد أن تولى الرياسة كثر أتباعه وانقادوا له الانقياد الاعمى فاتخذ منهم أداة للظلم والطغيان فأرهب بهم الخلق والملوك والسلاطين وحاربهم وهزمهم ، وقد قام بترتيب الطائفة الى ثلاث مراتب : الدعاة وهم الداعون الى مذهب الطائفة ، والرفاق وهم الذين اعتنقوا المذهب وخضعوا لسلطة الرئيس ، والفدائية وهم عدة الرئيس خاصة يسيرهم كما يشاء ، وكانوا يربون فى بيوت الرؤساء منذ نعومة اظفارهم يلقنون طاعة الرئيس والتضحية بالنفس فى سبيل إنفاذ اوامره ، ويفهمون ان الواحد منهم قد علا [illegible] لامته بفداء روحه ويصور لهم العذاب

فى ابشع صورة إن هم خالفوا للرئيس امرا ، والنعيم فى أشهى مظاهره انهم تفانوا فى خدمته . وهنا تظهر صولة القوم وخداعهم فقد كانوا كى يحققوا الفدائية مايعدونهم به من نعيم مقيم ينشئون الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء يحيطونها بالاسوار العالية ويضعون فيها من الصناعات ماحسن تنسيقه مما يبهر الانظار ويخلب الالباب ويجعلون فيها كل انواع الفاكهة والازهار والورود والرياحين تتدفق فيها الشلالات الجيلة وسط المزروعات الخضراء والمروج الفيحاء ، وينبعث من أرضها ماء فى الينابيع والنافورات ، ويخصصون أمكنة من تلك الحدائق تكون مجالس فاخرة وأروقة مزخرفة بالخزف والصينى والفرش ، والبسط والطنافس والرياش ويودعون فيها الاوانى الفضية والذهبية والبلورية المموهة بالذهب الخالص يزين ذلك كله أجمل العذارى ، وأظرف الولدان فى ثياب أرق من نسج العنكبوت يروحون فى تلك الحدائق ويغدون كالأطيار الجيلة تنتقل من دوحة الى دوحة ، يغرون الناظرين بالتيه والدلال ، وبالجملة فقد جعلوا من تلك الحدائق فتنة لاتباعهم ، فاذا فاز أحد الرفاق على الآخر فى اظهار منتهى الطاعة للرئيس والخضوع لأوامره خضوعا تاما وكتم السر والاحتفاظ بالعهود ، أعطوه من الحشيش مايذهب معه لبه ، ويفقده صوابه . ثم أرسلوه الى تلك الحدائق الساحرة حيث يفيق بين مظاهر الجمال ويغمر بانواع الملذات ويتركونه ساعة يعطونه بعد مضيها الحشيش مرة أخرى حتى اذا غاب عن صوابه أعادوه الى مكانه الأول . وهناك يمنونه بالعودة الى تلك الجنان إن هو زاد فى طاعته ، وبلغ فى التفانى والولاء اقصى ما يستطيع

وبعد أن تفشت هذه التعاليم أباح الرؤساء لتابعيهم كل انواع الملذات وأطلقوا لشهواتهم العنان ، وأباحوا لهم زواج الاخوات وكل من يحرم الدين الزواج منهن ، وعكفوا على تعاطى الحشيش وأدمنوا فى ذلك واسرفوا ، حتى انقلبت تلك الطائفة التى تدعى أن لها تعاليم دينية راقية وانها تدعو الى الايمان الصحيح الى فئة طاغية مجرمة تحلل المحرمات وتحض على المنكرات . وترى فى القتل عملا مشروعا يثاب عليه فاعله .

ولما قامت الحروب الصليبية كان للحشاشين فيها يد سوداء ، وقاموا فى اثنائها بأفظع الاعمال الوحشية ، فاطلق عليهم الفرنجة اسم Assassin وهو تحريف لكلمة حشاشين وجعلوه لكل قاتل مجرم . ويروى المؤرخون لاولئك الحشاشين من فظائع الاعمال مايعطينا عنهم صورة بشعة رسمت بلون الدماء الحمراء ، ووضعت فى اطار من عظام القتلى وأشلائهم ، فيقول المسعودى وابو الفداء إنه بلغ من جرأة الحشاشين أنهم كانوا يخطفون الناس من الشوارع والحارات باغرب الطرق ، وكان الرجل يتبع خاطفه فى سكون وخشوع ، والويل له ان ابدى مقاومة أو تحرك لسانه طلبا للنجدة ، فانه ان فعل استقر خنجر الفداوى فى قلبه ، وكان اذا غاب احدهم ساعة عن اهله تحققوا انه قد خطف وقتل فيقيمون عليه الاحزان ، وصار الناس يلبسون الدروع تحت الثياب مخافة الفدائية ، وكان من دهائهم تعليم اتباعهم المهن كالطباخة والحلاقة والخياطة ودسهم فى بيوت الامراء يقومون فيها بالخدمة والجاسوسية . يقال إن أحد السلاطين ارسل يوما الى شيخ الجبل يدعوه الى الطاعة والكف عن ايذاء الناس . فقال الشيخ للرسول : أمخلصون انتم لسلطانكم ؟ فاجابه كلا فقديه . فقال له قل لسيدك موعدنا يوم كذا ، وقل له أن يضم الى مجلسه أخلص المخلصين له ، وكان عند السلطان غلامان لايطيق فراقهما لحظة ، فلما حل اليوم اقبل الشيخ فى قلة من أصحابه مدججين بالسلاح فجعل يحادث السلطان فقال السلطان للشيخ سألت عن اخلاص قومى وكفايتهم ، وانى مريك الآن مالم تره ، وكان المجلس غاصا بالقواد والوزراء ، فرمى السلطان بخنجره من شرفة المكان الى الوادى ، فترامى القواد لاحضاره فهلكوا جميعا . فقال الشيخ نعم القوم قومك . فقال السلطان وهل انت على مثل ذلك من قومك ؟ قال لى كلام اقوله لمولانا فى خلوة . فاخرج السلطان كل من كانوا عنده عدا الغلامين ، فنظر اليهما الشيخ وقال يا عبدى مولانا اذا قلت لكما إن مولاكما هذا يهدد شيخكما ويفسد عليه أمره ، فماذا تفعلان به ؟ فاستلا سيفيهما ولوحا بهما على رأس السلطان وقالا نقتله ، فدهش السلطان وحار فى امره ثم التفت الى الشيخ يقول انصرف فانت فى حل مما تفعل . . .

وقد توفى الحسن بن الصباح عام ٥١٨ هـ وتولى الزعامة بعده نحو سبعة من الرجال نجد ترتيب زعامتهم فى دائرة المعارف الاسلامية مادة Assassin وقد ظلت الزعامة فى طائفة الحشاشين قائمة فى قلعة آلموت حتى ٦٥٤ هـ أى نحو قرنين لم يطل لهم فيهما شر ، ولم يكفوا فى اثنائهما عن أذى الى جانب افساد الاخلاق بتعاطى الحشيش وتحليل المنكرات واباحة الملذات

وكان من أكبر دعاتهم فى افريقية رجل خرج من صنعاء يقال له ابو عبد الله أحمد بن محمد بن زكريا ، ويعرف بالشيعى يبث الدعوة

للمهدى . اما مصر فلم يكن لهم فيها حوادث أو وقائع ، اللهم الا تلك الخرافات يرويها الناس عنهم كقصة الشاطر حسن وشيخ الفداوية . أما القبة الموجودة الآن فى العباسية والتى يزعمون انها للفداوية فقد كانت قبة للصلاة بناها الأمير يشبك بن مهدى الداودار عام ٨٨٤ فى ولاية السلطان قايتباى ، وقد تداعت فرممها الامير حسين كتخدا ثم رممها ديوان الاوقاف الخيرية عام ١٣١٧ هـ فى عهد محمد توفيق باشا

ولا يزال للاسماعيلية الى وقتنا هـــذا صوت كدبيب النملة ، وزعيمهم اغاخان الذى عرف واشتهر بوفرة ماله لا بزعامته لتلك الطائفة الموزعة بين الهند وفارس . والظاهر أن القوم قد غيروا ما عرف به سلفهم من قبيح العادات والتقاليد ، والا لما استطاعوا الاقامة بين الحكومات التى تنبهت وتوصلت الى طرق من الرقابة على الناس مباشرة ، وقد انصرف القوم عن نشر دعوتهم واكتفوا بعقيدتهم والحياة فيما هم فيه من يسر البيع وربح التجارة ، وما كان القرن العشرون ليتسع لمثل دعوتهم

ذلك شأن الاسماعيلية عامة والحشاشين خاصة ، وتلك مكانتهم التاريخية طول أيام الدولة العباسية ، وهى وان كانت مكانة لا يحسدون عليها لما قامت عليه من شر ونكر الا أن التاريخ سجل يحفظ بين طياته حوادث الايام والناس لا يفرق بين مخازيها ومفاخرها . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ؟

محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

« تم البحث »

حول الشاعر كورنى

عزا الدكتور الفاضل حسن صادق فى مقاله عن كورنى ضعف رواياته الأخيرة الى اضمحلال قواه الذهنية من أثر الهـــرم ، والحقيقة أن كورنى بالغ فى مبدئه الذى يعنى بتصوير الاشخاص كما يجب أن يكونوا فجاءت شخصيات قصصه الأخيرة خارجة عن حدود المعقول ، وذلك على ما أرى كان السبب الأول فى سقوط رواياته

وقد جاء فى المقالة أيضا : قال فولتير « الشرح الوحيد لكتب كورنى يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات فى أسفل كل صحيفة : جميل . جليل . الاهى ! » وهذه الكلمات على ما جاء فى كتب الأدب الفرنسية قيلت فى راسين لا فى كورنى ، وذلك أقرب الى العقل لأن فولتير كان يعجب بمبدإ راسين الذى يريد تحليل نفس الانسان

كتاب النثر الفنى

حضرة الاستاذ محرر الرسالة :

قرأت فى باب النقد من العدد الماضى مقال الاستاذ الجليل احمد امين فى نقد كتاب « النثر الفنى فى القرن الرابع » وسرنى أن أظفر من مثل هذا الباحث المفضال بمثل ذلك الثناء ، وقد رأيت من باب الدعابة أن أعد سطور ذلك المقال . فرأيت خمسة منها تمهيدا ، وخمسة وستين فى نقد طريقة المؤلف فى الحديث عن نفسه ومحاولة ناقديه ، وثلاثة عشر فى نقد هندسة الكتاب ، ثم رأيت مع السرور الفائق ثمانية عشر سطرا كلها ثناء صرف على المؤلف وعلى الكتاب ، ومن النادر أن يظفر مؤلف بثمانية عشر سطرا كلها ثناء على كتاب جديد من رجل كالأستاذ احمد أمين

وكتابى كما تعلمون يقع فى نحو ثمانمائة صفحة ، وملام الاستاذ احمد امين لا ينصب على أكثر من صفحتين يمكن حذفهما بسهولة فى الطبعة المقبلة ان شاء الله

ويقول الاستاذ :

« وانى وإن احترمت الكتاب من الناحية العلمية والعقلية فانى ناقده من جهة الذوق »

ثم أشار الى كلمات وهوامش جمح فيها القلم ، وهو ينقد بعض العلماء ، وصح لدى بعد التأمل أن مجموع ذلك لا يزيد عن عشر كلمات سأحذفها فى الطبعة المقبلة ، لأنها ضربت أذنى وانقبض منها صدرى كما ضربت أذن الاستاذ وانقبض منها صدره

وعجب الاستاذ من أن يرانى قاسيا فى بعض النقد ، ولطيفا لبقا فى البعض الآخر ، وتمنى لو يعرف لم كنت لطيفا لبقا هنا ، وقاسيا صارما هناك ؟

وتفسير ذلك سهل : فان الادب يأخذ نوقده أحيانا من الاعصاب والأحاسيس ، وقد تتمثل للنفس ظلال من إحدى المعارك الأدبية فتثور وتعصف ، وتمضى حينا فى هدوء فلا يفيض عنها غير اللباقة واللطف

والى حضرة الاستاذ تحيتى واحترامى

زكى مبارك

كما هو لا كما يجب أن يكون ، أكثر من اعجابه بمبدإ كورنى الذى تعرض له فى بعض كتبه بالنقد اللاذع ؟

صلاح الدين وصفى